**المحاضرة السابعة: بيبليوغرافيا اللسانيات التّوليدية التّحويلية**

**تمهيد:**

 قامت النّظرية التوليدية في أمريكا، على يد اللّساني نعوم تشومسكي، وقد استطاع أن يدحض أغلب مقولات اللّسانيات البنوية الوصفية، ليقدم نظرية لسانيّة تختلف من حيث المنهج عن النّظريات السّابقة لها، عُرفت هذه النّظرية باسم التّوليدية التّحويلية.

 ظهرت هذه النّظرية كرد فعل على الاتجاه الوصفي الذي كان سائدا في أمريكا آنذاك بزعامة بلومفيلد، حيث بنى هذا الأخير نظريته على أساس ثنائية المثير والاستجابة رافضا كل ما لا يخضع للملاحظة المباشرة من افتراضات وتفسيرات ميتافيزيقية، وانطلاقا من هذا التصور رأى أن دراسة المعنى يُعد أضعف نقطة في الدراسات اللغوية، لذلك ركّز على الجانب الذي يمكن ضبطه لظهوره (الأساس الشّكلي).[[1]](#footnote-2)

ورأى تشومسكي بعدم كفاية المنهج البنوي الوصفي، بل إن هذا المنهج "لا يكاد يقدم لنا إلا هذه الأنماط الشكلية من خلال إجراءات الاستكشاف، إن فكرة استقلال الدرس اللغوي وعلميته لا تقدم إذن شيئا يتصل بالإنسان باعتباره إنسانا، وإنما تسعى تحت سيطرة الفكرة العلمية إلى الوصف الآلي خشية السّقوط في التّأويلات الميتافيزيقية"[[2]](#footnote-3)، وحاول منذ سنة 1957، أي بظهور كتابه الأول **البنى التّركيبية** أن يتجاوز ما اكتفت به المدرسة البنوية الوصفية من وصف، وتصنيف، إلى تقديم تفسيرات عقلية للظّواهر اللّغوية من خلال الانطلاق من افتراضات، والتّنبؤ بالنّتائج.

إن العقل عند تشومسكي يمثل "طاقة إبداعية يولد بها الشّخص وتنمو بنموّه الفيزيولوجي النّفسي"[[3]](#footnote-4)، لذلك نجد دعامات هذه النّظرية قامت على أسس عقلية عدّتها اللّسانيات الوصفية موضع ضعف في الدّراسات اللّغوية التّقليدية، وقد دعا تشومسكي إلى ضرورة الإفادة من الدّرس اللّغوي التّقليدي القائم على المنطق والعقل، حتى إن أفكاره قد بنيت في عمومها على فلسفة ديكارت، ويرى تشومسكي أن الإنسان إلى جانب قدرته على التّفكير والذّكاء، يتميز بقدرته الإبداعية على إنتاج، و توليد جمل، وعبارات كثيرة، وصحيحة في الوقت نفسه، انطلاقا من عدد محدود من القواعد، والكلمات، وهذا إنما يدلّ على وجود أصول عميقة، وعمليات ذهنية توجد في عقل الإنسان تجعله قادرا على توليد هذه الكلمات والعبارات، ثم تُحول إلى بنية سطحية (وهي الجمل الموجودة في الواقع).

ويمكن تلخيص خصائص ومبادئ هذه النّظرية في النّقاط الآتية:

\_ أعادت الاعتبار للعقل وأكّدت على دوره الفعّال في العملية اللّغوية إذ يمثل الجانب الإبداعي، وهذه أهم ميزة تميّز الإنسان عن الآلة والحيوان، كما يُمكننا أيضا من معرفة الطبيعة البشرية التي تشترك في هذه الخاصية.

\_تسعى إلى وضع نظرية عامة للغة الإنسانية انطلاقا من البحث في البنية العميقة التي تمثل الجانب الداخلي للّغة لا البنية السّطحية، لأن وصف هذه الأخيرة لا يقدّم لنا شيئا بل لا يُعد علما.

\_ تهتم النّظرية بالمتكلم السّامع المثالي الذي ينتمي إلى بيئة لغوية متجانسة، ويمتلك معرفة ضمنية بلغته الأم.

\_ تقوم على جملة من المفاهيم التي تعكس بصورة مباشرة خصائص وأهداف النّظرية من هذه المفاهيم: التّوليد التّحويل، الكفاءة والأداء، البنية السّطحية والعميقة، النّحو العالمي، الإبداعية. **مراحل تطور النّظرية التّوليدية التّحويلية:**

 لم تستقر النّظرية التّوليدية عند نموذج واحد، وإنما عرفت انتقالا وتطورا من نموذج إلى آخر، بحيث مثلت كل مرحلة تكملة وتداركا لنقائص المرحلة السّابقة لها، ولا تزال التّوليدية إلى اليوم في تطور مستمر.

تُعد مرحلة النّموذج المعيار والمعيار الموسع أهم مراحل التّوليدية التّحويلية، انطلق فيها صاحبها من جملة من المسلّمات والفرضيات وعالج قضايا عدة، وتجسّدت هذه المرحلة في كتاب تشومسكي الصادر سنة 1965 المسمى بـ: (مظاهر النّظرية النّحوية)، ثم تلتها مراحل أخرى تناولت جوانب أخرى من الدّراسة، مثل مرحلة الدلالة التّصنيفية، ومرحلة نظرية نحو الأحوال، وانتهاء لمرحلة البرنامج الأدنوي.

**- الكتابة التّوليدية العربية:**

 عرف هذا الاتجاه طريقه إلى الثّقافة العربية، وأفاد منه ثلّة من الباحثين في السبعينيات من القرن الماضي، وعمل بعض الباحثين على التّنقيب عن ملامح هذا المنهج في التّراث اللّغوي العربي، كما فعل عبده الرّاجحي، وحسام البهنساوي، ونهاد الموسى، وهي محاولات تندرج ضمن ما يسمى بالكتابات اللّسانية التّراثية، في حين عمل آخرون على تطبيق مبادئ هذا المنهج على اللّغة العربية (الكتابة التّوافقية). ويمكن أن نذكر بعض هذه المؤلفات المندرجة ضمن هذا الباب:

* البنى النحوية لنعوم تشومسكي: 1957
* الألسنية التولدية التحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، لميشال زكرياء، ط3، 1986
* اللسانيات واللغة العربية، لعبد القادر الفاسي الفهري
* دراسات في علم أصوات العربية، داود عبده،
* نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، 1987.
* نظرية النحو الكلي، حسام البهنساوي، 2004
* في نحو اللغة العربية وتراكيبها، منهج وتطبيق، خليل عمايرة.
* رأي في أنماط التراكيب الجملية في اللغة العربية، مقال لخليل عمايرة
* اللسانية التوليدية التحويلية، لعادل فاخوري، 1980
* من الأنماط التحويلية في النحو العربي، لمحمد حماسة عبد اللطيف،
* اللسانيات التوليدية، الأسس النظرية والمنهجية. لمصطفى غلفان

ويبدو أن هذا الاتجاه لم يتصوّره اللّسانيون العرب تصورا واضحا في البداية، لذلك نجد نماذج توليدية قليلة ومتفاوتة من حيث القيمة، والمستوى علمي، وفي مقابل ذلك هناك محاولات أكثر دقة حاولت ابتكار قواعد توليدية للّغة العربية، غير أنها قليلة جدا مثّلتها جملة من المؤلفات مثل **دراسات في علم أصوات اللّغة العربية** لداود عبده، **واللّسانيات واللغة والعربية** لعبد القادر الفاسي الفهريّ.[[4]](#footnote-5)

قسّم حافظ إسماعيلي علوي هذه المحاولات إلى قسمين: محاولات جزئية، وأخرى كلية، مثلت الأولى جهود كل من داود عبده، وميشال زكرياء، ومازن الوعر، ومحمد علي الخولي، وغيرهم، ومثّلت جهود عبد القادر الفاسي الفهريّ القسم الثّاني؛ أي (المحاولات الكلية). والمقصود بالجزئية هنا أن يكتفي الباحث بتطبيق نموذج واحد، أو نموذجين، أما الكليّة، فهي التي حاولت تطبيق كل تلك النّماذج التي مرّت بها التوليدية[[5]](#footnote-6).

* **. النّماذج التوليدية واللغة العربية:**

 كان للكتابات التّوليدية العربية نصيب في مواكبة، ومسايرة هذا التّطور الحاصل في الغرب في هذا النّوع من الكتابة، لذلك نجد أكثر من نموذج توليدي حاول اللّسانيون العرب النّظر من خلاله إلى اللّغة العربية، فمن المحاولات الرائدة التي مثّلت نموذجي المعيار والمعيار الموسّع جهود كل من داود عبده وميشال زكرياء.

 عمل داود عبده في كتابه دراسات في الأصوات العربية على تجاوز حدود الوصف إلى التّفسير، وبالرغم من عدم إقراره صراحة بتبني المنهج التوليدي إلا أن ذلك يبدو جليا في كتاباته، حيث زعم أن هناك أصلا مقدرا لكثير من الكلمات يختلف عن الجانب المنطوق صراحة يقول: "يتطلب التفسير الصحيح لكثير من قضايا اللغة العربية أن نرد كثيرا من الكلمات إلى أصل، أو بنية تحتية تختلف عن ظاهر اللّفظ، فالفعل ردّ مثلا يجب اعتبار أصله ردد، وكذلك يجب اعتبار البنية التحتية لكلمة يَرُدُ يردد..."[[6]](#footnote-7) وهذا ما يتطابق مع أهم مفهومين في النّحو التوليدي هما البنية العميقة، والبنية السّطحية.

وفي حديثة عن الألف ذكر أن الألف في الأفعال المزيدة، واسم الفاعل، والمثنّى، وكل ألف ليست بدلا عن واو، أو ياء هي في الأصل همزة، وأن البنية العميقة لكل من فاعل وأفعال هي فأعل، وأفعألل، وإنما سقطت الهمزة من هذه المواضع وأطيلت الألف السّابقة لها، وهو شأن كلمة آمن إذ أن أصلها أأمن فحذفت الهمزة وأطيلت الفتحة التي قبلها.[[7]](#footnote-8)

وفي باب التّركيب اهتّم داود عبده بقضية التّرتيب في الجملة الفعليّة العربيّة (قضية الرّتبة)، وربط ذلك بمفهومي البنية العميقة والسّطحية، حيث رأى أن التّرتيب الأصل هو فاعل، وفعل، ومفعول به، وليس فعل وفاعل ومفعول، كما يراه أغلب اللّسانيين الذين عالجوا هذه القضية أمثال الفاسيّ الفهريّ، وخليل عمايرة، وبرّر موقفه بمجموعة من الحجج منها: أن كلًّا من الفعل، والمفعول يمثل مكونا جمليا واحدا، ,ان بعض الأفعال لا تصل إلى مفعولها إلا بالاستعانة بحروف الجرّ وهذا ما يدل على تعلّقها بالمفعول أكثر من الفاعل، [[8]](#footnote-9)، وعليه فإن القول بخلاف هذا التّرتيب(فاعل، فعل، مفعول) ينقض هذه القاعدة، وإلى جانب هذا الدّليل ذكر أدلة أخرى متعلقة بالأفعال المتعديّة بحرف الجر، والأفعال المساعدة.

وعمل محمد علي الخولي على تطبيق نظرية **نحو الأحوال** مركزا على فرضية الأمريكي تشارلز فيلمور لشرح العلاقات بين التّراكيب في الّلغة الإنجليزية، فحسب رأي علي الخولي أن هذه الفرضيات تتوافر فيها صفة العالمية والبساطة، أي يمكن تطبيقها على جميع اللّغات بما فيها اللّغة العربية، واعتمد على القواعد الخمس[[9]](#footnote-10)\* الخاصة بالجملة، التي عرضها فيلمور ثم حاول تطبيقها على اللّغة العربية مع بعض التّعديلات على مستوى القاعدة الخامسة حتى تكون أكثر موافقة مع قواعد العربية.[[10]](#footnote-11)

وأفاد مازن الوعر في محاولته من نظرية **الدّلالة التصنيفية** التي تهدف: "إلى تقديم جملة من المعايير الدلالية لوصف المضمون الدلالي، والتركيبي، وهي عبارة عن نظام من الأدوار الوظيفية التي تمنح من خلال اعتبار الفعل محورا للعمليات الدلالية، وتمكن من معرفة أنواع الفعل من خلال الصفات المميزة له"[[11]](#footnote-12)،ووفقا لهذه المبادئ فرّق مازن الوعر بين المنجزات الدلالية المرتبطة بالفعل وبين الأدوار الدلالية التي تحدث مع الاسم.

 هذه أبرز المحاولات الجزئية، أما تلك المحاولات التي اتّسمت بالطابع الشّمولي فتجسّدت في كتابات عبد القادر الفاسيّ الفهريّ لأن "متابعة دقيقة لما راكمته أبحاث الفاسي الفهري تبين أن معظم القضايا التي أثارها جاءت مواكبة لتطورات الدّرس التّوليدي، وأيضا للقضايا الصّرفية والتّركيبية والمعجمية التي شغلت الباحثين المنخرطين فيه."[[12]](#footnote-13) ومن بين أبرز الخصائص التي ميّزت تطبيقات النّظرية التوليدية على اللّغة العربية عند هذا الباحث:[[13]](#footnote-14)

\_ الاهتمام بقضية الرّتبة وفق ما تمليه النّظرية الموسعة، فيرى أن الرّتبة الأصل هي فاعل، وفعل، ومفعول به.

\_ العمل بمقتضى برنامج الرّبط العاملي في تناول الضّمائر.

\_ عمله بمقتضى برنامج المبادئ والوسائط التي اقترحها تشومسكي ومضمونها أن تُجعل اللّسانيات ذات طبيعة مقارنة إذ أن فهم خصائص لغة ما يتوقف على فهم خصائص لغات أخرى.

\_ مسايرته للتّطور الحاصل في النّظرية التوليدية، حيث نجد له تطبيقات عملية لأحد أهم النّماذج التي توصلت إليها النّظرية في الوقت الحالي، وهو ما يُعرف بالبرنامج الأدنوي.

1. ينظر عبده الراجحي: **النحو العربي والدرس الحديث**، ص 111 [↑](#footnote-ref-2)
2. المرجع نفسه، ص112 [↑](#footnote-ref-3)
3. شفيقة علوي: **دروس في المدارس اللسانية الحديثة**، ص 43 [↑](#footnote-ref-4)
4. أنظر:حافظ إسماعيلي علوي، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، ص230 [↑](#footnote-ref-5)
5. أنظر: المرجع نفسه، ص233 [↑](#footnote-ref-6)
6. داود عبده: **دراسات في الأصوات العربية**، ج1، ص24 [↑](#footnote-ref-7)
7. ينظر: المرجع نفسه، ص23 [↑](#footnote-ref-8)
8. حافظ إسماعيلي علوي: **اللّسانيات في الثّقافة العربية المعاصرة،** ص266 [↑](#footnote-ref-9)
9. [↑](#footnote-ref-10)
10. ينظر: إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 267 [↑](#footnote-ref-11)
11. ينظر:المرجع نفسه، ص 268 [↑](#footnote-ref-12)
12. أسماعيلي علوي، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، ص283 [↑](#footnote-ref-13)
13. ينظر: المرجع نفسه [↑](#footnote-ref-14)